Nabila kahoul

مقالة الشعور بالانا والشعور بالغير:

هل معرفة الذات تتوقف على الوعي ام انها ترتبط بوجود الاخر؟

طرح المشكلة:

الإنسان كائن مدني بطبعه، يعيش مع غيره من الناس في تفاعل وتكامل وفي تجاذب وتنافر . وفي حركته هاته، يحصل له إدراك ذاته، وفي الوقت نفسه يتميز بها عنهم .ومن هنا ثار جدال بين موقفين من الفلاسفة، موقف يرى أن إدراك الذات لذاتها متوقف على الشعور، في حين يرى الموقف الآخر أن الإدراك يتم عن طريق المغايرة والتناقض، ومن هنا نتساءل: هل معرفة الذات تكمن فيما يراه الغير فينا أم فيما نراه في أنفسنا؟ أو بعبارة أخرى: هل معرفة الذات تتوقف على وجود الغير أم على الوعي ؟.

محاولة حل المشكلة:

1~ الموقف الاول:

يرى أنصار الموقف الاول الذي يتزعمه أصحاب الاتجاه الحدسي ومن بينهم: سقراط، برغسون، ديكارت و دو بيران، ...أن الوعي أساس معرفة الذات مادام أنه ذاتيا والموضوع المراد معرفته هو الذات وبالتالي لا دخل للغير في معرفة الذات، يقول سقراط: "اعرف نفسك بنفسك".

كما ان الإنسان ليس كتلة من الغرائز كما هو الشأن لدى الحيوان بل هو كائن واع لأفعاله بواسطته يحس بما في ذاته من أفكار وعواطف وذكريات وبالوعي يعلم أنه موجود، له ماض ومستقبل ، وأن العالم يوجد من حوله كذلك، حيث يثبت الفيلسوف الفرنسي ديكارت أن الوعي أساس معرفة الذات من خلال التفكير بقوله : " أنا أفكر إذا أنا موجود" ، فجميع العمليات الذهنية من تخيل، وتأمل، وشك، ...هي أشكال من التفكير الذي لا تتوقف النفس عنه مادام أنه يتطلب لزوما وجود الذات.

كما يؤكد الفيلسوف برغسون على أن الحدس وسيلة تسمح للذات بتمثيل نفسها عقليا لتشاهد

ذاتها بذاتها فتتعرف عليها .اذ بإمكان الانسان أن يعرف ذاته بواسطة الاستبطان) التأمل الذاتي (وهو ملاحظة داخلية لما يحدث في النفس، حيث ينقلب الإنسان إلى شاهد على نفسه فيعلم أن له ذات حقيقية يبدو بها أمام الناس تختلف عنهم جسميا ونفسيا وأخلاقيا.

كما يؤكد الفيلسوف الفرنسي مين دو بيران على أن الاحساس هو دائما إحساس بشيء وأن الا حساس لا يكون إلا إذا كانت الذات موجودة، لذلك يقول: " قبل أي شعور بالشيء فلا بد من أن للذات وجود" .وقد أكد على هذا الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر بقوله: "إن الشعور هو دائما الشعور بشيء ولا يمكنه إلا أن يكون واعيا لذاته".

•النقد:

لكن الوعي كمؤسس للأنا قد يوقع الانسان في مغالطة مع نفسه إذ الماهية التي يشكلها وعيه حولها تكون خادعة وهذا ما أكد عليه أفلاطون من خلال "أسطورة الكهف" بقوله:" إن ما يقدمه لنا وعينا ما هو إلا ظلال وخلفه تختبئ حقيقتنا كموجودات" . كما أكد سبينوزا أن الوعي وهم ومغالطة فاعتقاد الناس باستقلالية أفعالهم اعتقاد خاطئ لعدم وعيهم بسلطان رغباتهم إذ لا يعلمون شيئا عن الأسباب المتحكمة فيهم ، مثل السكير يتوهم أنه يتحدث بأمر حر صادر عن ذهنه عن تلك الأمور التي كان يود في صحوه ألا يقول عنها شيئا، لكنه في الواقع تحت تأثير الخمر.

الموقف الثاني: ~2

يرى الفلاسفة العقلانيون وعلى رأسهم: جون بول سارتر، بركلي، هيجل،...أن معرفة الذات تتوقف على التقابل والمغايرة ، فالانسان لا يتعرف على ذاته إلا في وجود الآخر) الغير (الذي يمكن النفس من إدراك ذاتها وذلك لإدراكها بالاختلاف الحاصل عند مقارنتها بالآخرين، حيث اعتمدوا على الحجج والبراهين التالية:

يرى جون بول سارتر ان المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الانسان ويتفاعل معه هو الذي يمكنه من معرفة نفسه، وذلك باختلافه عن الآخرين، فالغير الذي يواجهنا يصدر أحكاما حول ذواتنا مما يدفعنا إلى التفكير في أنفسنا، حيث يقول الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر : "وجود الآخر شرط وجودي وشرط لمعرفتي لنفسي " أي ان وجود الاخر ضروري.

كما ان قياس ذواتنا مع غيرنا يعرفنا على نقائصنا وعيوبنا ومحاسننا، فوجود الغير يقدمه لنا جون بول سارتر من خلال المثال المتعلق بالنظرة المتبادلة بين الأنا والغير في حين يكون الإ نسان وحده يتصرف بعفوية وما أن ينتبه إلى وجود من يراقبه حتى تتجمد حركاته وأفعاله ويفقد العفوية والتلقائية.

ويرى واطسون ان استقراء علاقة الإنسان بغيره يثبت ما للمجتمع دور فعال في تنظيم نشاط الفرد وتربيته منذ الوهلة الأولى، يقول واطسون في هذا الشأن : "الطفل مجرد عجينة يصنع منها المجتمع ما يشاء"، وعليه يمكن التمييز بين الأفراد من خلال البيئة التي يعيش فيها، يقول دور كايم : " الفرد ابن بيئته ومرآة تعكس صورة مجتمعه فمن غير الممكن أن يتعرف على نفسه إلا من خلال اندماجه داخل المجتمع واحتكاكه بالغير" ، فنحن نتعرف على الأنا من خلال تعايشه مع الغير .فلو عاش الفرد منعزلا في جزيرة بعيدة لما علم عن نفسه شيئا، وهذا ما يؤكد دور الآخر والغير في معرفة الذات لذاتها.

•النقد:

صحيح أن الانسان يعيش مع غيره من الناس لكنهم لا يعلمون إلا المظاهر الخارجية، أما ما في دواخلنا من عواطف وميول فلا يمكن أن يعلموها .فالانسان يمكن أن يصطنع المظاهر الخارجية كما الحال لدى الممثل الذي يصطنع حالات معينة تختلف نهائيا عن حقيقة نفسه.

3~ تركيب:

كتركيب بين الموقفين يمكن القول ان معرفة الذات لا تتوقف عند الانا فقط بل إن وجود ا لاخر ضروري ايضا لفهم الذات، فلا معنى للانا الا وسط الذات، فمعرفة الذات لا تصبح ممكنة إلا في وجود الآخر والتواصل معه في جو من التنافس من غير صراع ولا تطاحن في محاولة تحقيق معرفة الذات، وهذا ما عبر عنه المفكر العربي لحبابي بقوله :"إن معرفة الذات تكمن في أن يرضى الشخص بذاته كما هو ضمن هذه العلاقة "الأنا جزء من النحن" في هذا العالم".

وحسب رأيي الشخصي فإن أصح الآراء هو الذي يؤكد على ان معرفة الذات تتوقف على الوعي، لأن الذات تعي ذاتها بذاتها يقول هوسرل في هذا الشأن: "أنا اشعر اذن انا موجود ".

●حل المشكلة :

إن شعور الإنسان بذاته متوقف على معرفة الآخرين باعتبارهم كائنات تستحق المعاشرة وا لاحترام والتزكية ومغايرته لهم إن كانت ضرورية لتثبيت الذات وتأكيد خصوصيتها لا تكتمل ولا تزدهر إلى بوجود الآخرين والعمل معهم في ظل التعاون والمحبة .فلكي تتعرف الذات على ذاتها يتوجب ان تكون ذات واعية من جهة، و من جهة أخرى يتوجب ان تكون موجودة وسط الجماعة.